# من شجرة الدر

## لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظه باشا

نزع الشاعر الكبير عزيز أباظه باشا من مسرحيته الرابعة (شجرة الدر) فقدم بها إلى الشعر العربي الحديث "فنا" قصصيا رائعا تزيد في ثروته وتدنيه من كماله . وقد نشر فصل مما أثر ( الرسالة ) ننشر مشاهد هذه المسرحية لنضر اليوم مشهداً منها شاكرين .

### الفصل الأول — المشهد السادس

شجرة الدر : الملكة .

عز الدين أيبك : قائد الجند .

أقطاى
بيبرس — من أمراء الجيش .
قلاوون

( يدخل بيبرس وقلاوون على الملكة شجرة الدر وكانت قد أرسلتهما في مهمة سياسية إلى أمراء الشام ، وكان في حضرتها عزالدين أيبك وأقطاى)

شجرة الدر : يا صاحبيَّ فنبّآني ما الذي
خلّفتما في تلكم الأمصار

بيبرس : يا مَلْكة الوادي سلمتِ تقيّه
وتقيّ شعبك عاديَ الأخطار
إن ندَّ والٍ ، أو تخلّف حاكم
فبكل الأمورَ لسلطك الجبار
فإذا هم انتقضوا وثاروا فاقفني
بالنار فوق مناكب الثوّار
ودعي حسابهم والسيرَ لجيشك ال
جرار يوقض بالقنا الخطار

شجرة الدر : أحسنت بيبرسُ العزيز فقل الذي
لمّحت لي عنه الجواب الشافي
فضلُ السفير أداؤه في رتةٍ
ما ساء من نبأ وفي إطناب
ابدأ بأسوإ ما علمتَ فقي يدي
حسمٌ لكل ملمةٍ وتلافي

بيبرس : مولاتي الأحداث حولك أوشكت
تنقض بين صيحةٍ ومساء
جيرانك الأدنون ضمّوا شملهم
وتجمعوا لخيانةٍ نكراء
حسدوك فانتفضوا عليك وهذه
حلبٌ تهم بقدره شنعاء
والموصل استشرى عليك عداوة
والجند ملء جوانب الفيحاء

شجرة الدر : بيبرس في هذا الخاص يؤودني
محيص ما تلقى من الأنباء
هلا هدأت ؟

بيبرس : سلي أجبك فإنني
قد طال في تلك الديار عنائي

شجرة الدر : ما يفعل « الملك الرحيم »[1] ؟

بيبرس : تركته
متحاملاً ومجاهراً بعداء

شجرة الدر : وحليفه « الملك المظفر »[2]

بيبرس : مثله
يطوي أنامله على بغضاء

شجرة الدر : والناصر[3] الملك الذي أصفى له
ودي ؟

قلاوون : كبير العصبة الحقداء
جمعوا على جبن النفوس صفوفهم
أفتحفلين بعُصبة الجبناء

أيبك : أسألتهم ما الذي قد أنكروا
منها الفتاة

قلاوون : أجل

أيبك : فما ذا قالوا ؟

قلاوون : لغو من القول السقيم وحجة
قالوا لتثبت في العقول وجالوا

أيبك : فاعرض لحجتهم وسقها

قلاوون : اعفني
فلكل قول موقعٌ ومجال

أيبك : يا ملكة الوادي يُرى تلتبي

---

(١) الملك الرحيم : هو بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .
(٢) الملك المظفر : هو المنصور المظفر الأيوبي صاحب حماة .
(٣) الملك الناصر : صلاح الدين صاحب حلب .

شجرة الدر : لم تخفَ عنى هذه الأقوال
قالوا : قتا حكم النســـاء بجائرٌ
شرعاً وقوّام النســـاء رجال
بيبرس : هذا الذى زعموه
أيبك : وهمٌ باطل
ما كان جنس المرء خالق فضله
أىٌّ من الجنسين بالغ شأوه
لا فرق بينهما — ببالغ عقله
لو قد رقيتِ الملك وارثةً له
قلنا اعتراضٌ فى صميم محله
لكننا اخترناك رأياً واحـــداً
فنزلتِ أنت على مشيئة أهـــله
إجمـــاعُ شعبٍ راشدٍ لم يجتمع
متضافراً من بعده أو قبله
شجرة الدر : دع ذاك أيبك ولنعد لحديثنا الـ
مأثور عن امرائنا الأعلام
هل أنكروا أسلوبنا فى الحكم
بيبرس : لم
يتحـــدثوا فى ذاك قط أمامى
شجرة الدر : أفناقون علىّ أنى قبلتى الـ
شورى وأحكامُ الكتاب إمامى
أم غاضبون لأننى نكلت بالـ
غازى وصفت كنانة الإسلام
ســـبراً بنى أيوب لا تتعجلوا
كالناقلين مصـــائرَ الأيام
أنا زوج عمكمو أسرّ إلىّ بالـ
نجوى فقلت : اهدأ ونم بسلام
إنى لحـــافظةُ التراثِ لآلهِ
مهدى إليه على المدَى وزمامى
(ثم تلفت لبيبرس)
اكمل حديثك
بيبرس (للاوون) : هل لدينا غير ما
قلنـــا ؟
قلاوون : أجل فلهم لديك رجاء
شجرة الدر (فى استهزاء) :
بل قل لهم أمرٌ
قلاوون : أتأمرُ سُدةٌ
عزت كما عزّ السنا الوضّاء
قالوا إذا أسرى الفرنجة[1] أطلقوا
وهمُو الملوكُ الصِّيدُ والأمراء
فالسلمون ممالكا وجحافلا
ضُربت عليهم ذلةٌ وعفـــاء
شجرة الدر (فى بسمة ساخرة) :
أكذاك قالوا؟ أن يكون على المدى
ما يبتغيه أولئك الســـفهاء
(ثم تقول كمن تستأنس بالرأى) :
فإذا رأيتُ من السياسة والحجى
أن يطلقوا
أقطاى (فى دهشة) : أترينَ ذلك؟
شجرة الدر : ربمـــا
أقطاى (فى إسرار) :
أخشى إذا همُ أطلقوا أن يشهروا
شعواء تُمطرنا الحديدَ الرزما
درج الصليبيون ألا يحفظوا
عهـــداً
شجرة الدر : أهينك أن تزل وتظلما
قد ينقضون ، وقد نقضنا مثلهم
لكننا كنا أعفّ وأكرما
لا تخش ، ربّ ذرائعٍ أحكمتُها
مهدت للوطن الطريق الأقوما
أقطاى : مولاتنا فالجيش لم يُسلم بما
يجـــرى
شجرة الدر : وهل من حقه أن يُسلما
أقطاى : هو حامل الأعباء غير مؤازرٍ
عن مصر إن خانته يوماً أيوما
شجرة الدر : أدرى ولكن السياسة مهنةٌ
إن راضها جيش هوى وتحطما
أقطاى دع ما لست تحسنه لمن
عرك الأمور وســـاسها فتحطما
عزيز أباظة

(١) إشارة إلى الملك لويس التاسع وقد كان ورجاله أسراء بالمنصورة فى ذلك الحين .